

الوحدة 14:

الدلالة العرفانية.

الهدف الخاص.

أن يتعرّف الطالب على أحدث أفكار الدلالة العرفانية..

الأهداف الإجرائية.

أ/ أن يستذكر الطالب موضوع ومصطلحات الدلالة العرفانية الحديثة بدقة ووضوح.

ب/ أن يعرف الطالب بملمح الدرس العرفاني في تراث العربية دون خطأ.

توطئة.

في البداية لابدّ من التفريق بين مصطلح العرفان باعتبار استخدامه في التصوف والديانات القديمة، والعرفانية رديفاً لمصطلح المعرفية المرتبطة بالمعارف والعمليات العقلية، والتي تمتّ مقابلتها بمصطلح الإدراك بدلالته على التحصيل وجميع الوظائف الباطنية للعقل.

أولاً: الدلالة الإدراكية (العرفانية) المصطلح والماهية والأهداف.

أ/ اللّغة والفكر والإدراك

قبل أن ننسب اللّسانيات الإدراكية (العرفانية) إلى طرفٍ محدّد، ننطلق من قاعدة أساسية، وهي أنّ الضّلّع الأساس في هذه العملية هو اللّغة، ومنه فقد انسلخ ضلعها الأساس عن اللّسانيات العامّة باعتبار اهتمامها باللّغة. والظاهرة اللّغوية نفسها ليست معزولة عن جملة من العوامل والعناصر، فهي مرتبطة مع الإنسان بكلّ أبعاده، والمجتمع المنتج والمحتضن لها، والزمان والمكان والأحداث والتحوّلات التي تصيب حياة المجتمع اللّغوي، فراحت تُشَبِّك أضلاعاً أخرى متعدّدة، وتنشئ علاقات جديدة مع علوم قريبة وبعيدة، فتولّدت الكثير من المصطلحات، التي يقوم عليها هذا العلم.

ب/ الظاهرة اللّغوية.

اللغة ظاهرة متحركة وزنبقية غير ثابتة، ما يعني أنّ دراستها دراسة وافية يستدعي الإحاطة بكلّ الأطراف، ولعلّ ما يؤكّد هذا الرأى هو سعة الخلاف في تحديد طبيعة الظاهرة، لذلك احتاج علم اللغة إلى كلّ العلوم التي اهتمّت بتلك الأطراف، كعلم الأجناس البشريّة وعلم

الجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الطب البشري، وذلك ما يُفسّر تفرّع علم اللّسانيات إلى فروعه الحديثة، ومنها الإدراكية (العرفانية) التي اشتغلت باللغة والإدراك الفردي.

ج/ أهداف الدلالة الإدراكية(العرفانية).

تم التركيز على الذات المدركة للّغة أي البحث في منطقة الإدراك بملمحه الخفيّ رغبة في تحديده تحديدا علميا، هذا من جهة، ثم علاقات الاتصال بالعالم الخارجي من جهة أخرى. كما أنّ طبيعة العلاقة التي تجمع بين اللغة والفكر، هي ما جعل الفلاسفة والمفكرين يذهبون مذاهب شتى في تفسير الظاهرة اللّغوية.

وبالتّالي انصبّ الاهتمام على طريقة عمل الدماغ حال اكتساب اللّغة، أو بالأحرى تشغيل العمليات المعرفية cognitive processing¹، فتحدّدت وظيفتها أساسا في "الوصف والتفسير، وعند اللّزوم تصنّف التنظيمات الأساسية وقدرات الذهن البشري من حيث اللّغة، الاستدلال، الإدراك، الترابطات الحركية، التخطيط.²"

وحّد هودي اللّسانيات المعرفية بوصفها العلم الذي "يحاول التوضيح عن طريق التجريد بالتمذجة واستعمال تقنيات "الذهن في علاقته بالمادّة، الذهن، الجسد والحاسوب " ³ وقد ذهب هذا العلم عن طريق مباحثه المتشعبة إلى الفصل بين اللّغة الحرفية واللّغة المجازية، والبنىات تصوّرية الإدراكية والبنىات اللّغوية، ⁴ كجوانب من البحث، لذلك توسّع في مباحث الاستعارة والمجاز العرفانيين.

ه/ موضوع اللّسانيات الإدراكية العرفانية.

إنّ غاية اللّسانيات الإدراكية، هي أن يتمّ البحث في الكلّيات النّحوية والدلالية التي تجمع اللّغات البشرية لا باللّغات في حدّ ذاتها، وفي تاريخها كما تذهب إلى ذلك اللّسانيات العامّة وبعض فروعها، بل في منطقة أقرب إلى الغموض منها إلى الوضوح، وهي منطقة إدراك

¹ قاموس مصطلحات علم النفس العصبي: أكاديمية علم النفس، الموقع الإلكتروني، <https://Acofps.com>

² Andler.d « sciences cognitives. » in Encyclopedia Universalis .1989

³ Houdè. O E al . vocabulaire des sciences cognitives . P. U. F paris . 1989. P1.

⁴ بريجيت نرليش وديفيد كلارك، اللّسانيات الإدراكية وتاريخ اللّسانيات، ترجمة حافظ إسماعيلي العلوي، ص272.

اللغة عند الإنسان، وتهدف إلى وضع هندسة لهذه الملكة اللسانية الباطنية، ثم معرفة موقعها من الأنظمة الأخرى للعقل أو الدماغ،⁵

برزت اللسانيات الإدراكية (العرفانية)، وغايتها البحث عن تفسير مثالي لفهم البشر من نواحي قدراتهم الإدراكية، وحركية اللغة إنتاجاً وفهماً واكتساباً، موظفة البعدين الداخلي والخارجي، لذلك فقد حاولت تحديد المعرفة اللسانية *le savoir linguistic* للمتكلمين ومعرفة طبيعة اللغة الداخلي *langue interne*، مع كيفية تطورها عند الأفراد، كيف تشتغل أثناء الاستعمال، وما طبيعة الإنجاز الذي يحصل، وما هي الآليات العصبية والفيزيائية الموظفة⁶

و/مصطلح العرفان في العصر الحديث.

استُخدم مصطلح الإدراك في الدراسات المعاصرة لأول مرة في اللسانيات الغربية الحديثة، ولاقى انتشاراً واسعاً مع لاكوف *lakoff* سنة 1975 م، حيث كان عمله تخلصاً عن الدمج بين النحو التوليدي والمنطق الصوري الذي انتحاه تشومسكي، إلى ربط جديد يتعلق بالإدراك بوصفه عملية ذهنية، ولم يعد هذا التخصص ينظر إلى اللغة نظرة البنية والنظام المستقل، بل إن الإدراك هو أساس اللغة، ولا مجال للفصل بين أطراف الملكة الذهنية.

ولابد أن يتم الجمع بين السياق والحالة المعرفية والذاكرة والتشغيل وكل مظاهر الجسد، ربط لا يكوف عمله بروية الفيلسوف مارك جونسون *mark johnson* من خلال مؤلفهما المشترك " الاستعارات التي نحيا بها"، وبدا هذا الاتجاه غير مكتسب بمفهوم العرفان في بعده الديني. أمام هذا الغموض الذي يلف مجال البحث في اللسانيات الإدراكية،

ثانياً: مصطلح الإدراك في التراث العربي الإسلامي.

إن مصطلحات الإدراك، اللفظ، المعنى، التصور، الهيئة، الاستعمال، الأذهان، الأفهام، هي مصطلحات تردت كثيراً بين ثنایا المدونات وكتب التراث العربي.

1/ في استخدام القدماء.

أ/ابن رشد.

⁵ عز الدين مجدوب، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معربة، ج1، (قرطاج تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 2012م)، ص208.

⁶ عز الدين مجدوب، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج1، ص221.

قدّم ابن رشد في شرحه لكتاب أرسطو، توضيحاً لعملية حصول وتشكّل المعاني وتصوّرها، وحدّد مراحل ترتيبها، إذ الألفاظ " دالّة أولاً على المعاني التي في النفس، والحروف التي تُكتب هي دالّة أولاً على هذه الألفاظ. وكما أنّ الحروف المكتوبة، أعني الخطّ، ليس هو واحد بعينه لجميع الأمم، كذلك الألفاظ التي يُعبّر بها عن المعاني ليست واحدة بعينها عند جميع الأمم، ولذلك كانت دلالة هذين بتواطؤٍ لا بالطّبع. وأمّا المعاني التي في النفس فهي واحدة بعينها للجميع، كما أنّ الموجودات التي المعاني التي في النفس أمثلة لها ودالّة عليها واحدة وموجودة بالطّبع للجميع. " ⁷ فهو يوحد بين المعاني النفسية ويجعلها تحصل بالطّبع، في حين يجعل الخطّ واللفظ يختلف من أمة إلى أخرى، بسبب حصولها بالمواضعة والتواطؤ.

ب/ ابن سينا.

عبّر الشيخ الرئيس ابن سينا عن حاجة الإنسان إذا أراد أن يفكر في الأشياء ويتعلّمها، فإنّه يحتاج ضرورة إلى أن يدخلها في التّصوّر⁸، لذلك أشار إلى تشوّش وتبدّل بعض من حاول الغوص في تلك القضايا، لأنّ المتتبّعين لها "وجدوا الموجود على نحوين: وجود الأشياء من خارج، ووجودها في الذّهن، ولم يفصلوا فيعلموا أنّ الأمور التي في الذّهن إمّا أمورٌ تُصوّرت في الذّهن مستفادة من خارج وإمّا أمورٌ تعرض لها " ⁹ وقد ذهب في شرحه لعملية الإدراك مركزاً على تلك العمليات الخفية التي لا يتمّ تحصيلها بسهولة ولا حتى معرفة كيفية إدراكها، وذهب إلى شرح كيفية ارتسام الصور الخارجية وكيف تمرّ إلى النفس المدركة، ذلك أنّ الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية وتتأدّى عنها إلى النفس، فترتسم فيها ارتساماً ثانياً ثابتاً وإن غابت عن الحسّ، فتعرض لها ضرورة الأحوال التي في التّصوّر فقال : " ومعنى دلالة الألفاظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه " ¹⁰، وهو تصوّر لعملية الرّبط بين المعاني في النفس والألفاظ الدالّة عليها في النطق.

ج/ أبو حامد الغزالي.

⁷ ابن رشد، تلخيص كتاب العبارة، تحقيق محمود قاسم، (القاهرة مصر، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1981م)، ص57.

⁸ ابن سينا أبو علي بن الحسن، الشفاء، مقالة المنطق، تصدير طه حسين، مراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق: الأب قنوتاتي - محمود بخضير أحمد فؤاد الأهواني، (مصر، منشورات وزارة المعارف العمومية، د ط، 1952م)، ص15.

⁹ ابن سينا، الشفاء، ص23.

رتب أبو حامد الغزالي ت 505هـ عملية الإدراك انتقالا من عالم الموجودات أعيانا عيانا إلى الكتابة فقال: " إن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان".¹¹ وهو فهم واضح لعملية التصوّر والإدراك يوحى بعمق الأفكار وقوة التدبّر، وهو ما يؤسّس للكثير من الأفكار في التعليمات الحديثة،

د/ حازم القرطاجني.

شرح حازم القارطاجني ت 684 ، عملية الإدراك شرحا يجمع بين وجود الأشياء خارج الذهن، وحصوله في شكل من أشكال المعرفة الباطنية، فالشيء " إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ لمن لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليه " .¹² وهو تفصيل يدلّ على المتابعة المستمرة لعمليات الإدراك ، التي نالت نصيبا من العناية في أبحاثهم.

2/ الإدراك في الدراسات اللسانية العربية الحديثة.

أمّا الدّراسات اللّغوية العربيّة الحديثة، فقد تعدّدت الاستعمالات المقابلة لمصطلح الإدراك فيها منها العرفيّة، والمعرفيّة، والعرفانيّة وهو المصطلح الذي زكّاه محمد صلاح الشّريف في تقديمه لكتاب مدخل إلى النحو العرفانيّ، منطلقا من فكرة أنّه إذا كان مصطلح المعرفة يعبر أساساً عن نظرية المعرفة، التي ترتبط بصناعة المعارف والعلوم، فإنّ العرفان هو مشروع بحث في العلوم الطّبيعية وتحديدًا علم وظائف الأعصاب.

يسعى إلى فهم الوظائف العليا التي ينتجها العقل كالإدراك والذاكرة واللّغة¹³ ولعلّ التّمييز الجوهريّ بين المعرفة والعرفان يثبت حقيقة أنّ " كلّ معرفة قائمة على عرفان، ولا يقوم

¹¹ الغزالي أبو حامد، معيار العلم في المنطق، شرح أحمد شمس الدين، (بيروت لبنان دار الكتب العلمية، ط 2، 2013م)، ص 35، 36.

¹² حازم القرطاجنيّ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق وتقديم محمد الحبيب بن الخوجة، (لبنان دار الغرب الإسلامي، 1981م)، ص 18، 19.

¹³ عبد الجبّار بن غربية، مدخل إلى النّحو العرفانيّ، ص 8.

العرفان على معرفة، ومعناه أنّ العرفان أشمل¹⁴ ولذلك يُقال النّحو العرفانيّ، ومنه يكون مصطلح العرفان أقرب إلى الإدراك واللّسانيات الإدراكية من مصطلح المعرفة.

استخدم محمد صلاح الدين الشريف مصطلح الإدراك أو الإدراكية لوسم مختلف العمليات الذهنية التي يُجزّها العقل البشري لمعالجة المعلومات باستخدام اللّغة بشكلٍ واعٍ أو غير واعٍ.

خاتمة

تبقى اللّسانيات الإدراكية بين مثبت يعترف بامتداد علاقاتها، وترسيخ فرعها بتغطيتها لمعظم الأرضية التي تغطيها اللّسانيات العامّة، ومنكرٍ لها بالجملة ذلك أنّ الإدراك هو اختصاص علماء النفس بالدرجة الأولى.

المصادر والمراجع.

- 1/ قاموس مصطلحات علم النفس العصبي: أكاديمية علم النفس، الموقع الإلكتروني، <https://Acofps.com>
- 2/2Houdè. O E al . vocabulaire des sciences cognitives . P. U. F paris . 1989. P1.
- 3/ بريجيت نرليش وديفيد كلارك، اللّسانيات الإدراكية وتاريخ اللّسانيات، ترجمة حافظ إسماعيلي¹ العلويّ.
- 4/ عز الدين مجدوب، إطلاقات على النظريات اللّسانية والدلالية في النّصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معرّبة، ج1، (قرطاج تونس، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 2012م.
- 5/ Andler.d « sciences cognitives. » in Encyclopedia Universalis .1989
- 6/ ابن رشد، تلخيص كتاب العبارة، تحقيق محمود قاسم، (القاهرة مصر، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1981م.
- 7/ ابن سينا أبو علي بن الحسن، الشفاء، مقالة المنطق، تصدير طه حسين، مراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق: الأب قنّواتي - محمود بخضير أحمد فؤاد الأهواني، (مصر، منشورات وزارة المعارف العمومية، د ط، 1952م.
- 8/ الغزالي أبو حامد، معيار العلم في المنطق، شرح أحمد شمس الدين، (بيروت لبنان دار الكتب العلمية، ط 2، 2013م.
- 9/ حازم القرطاجيّ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق وتقديم محمد الحبيب بن الخوجة، (لبنان دار الغرب الإسلامي، 1981م.

¹⁴ محمد صلاح الشّريف، الدّارة النّحوية البلاغية، مقاربة لتعليمية الألسنة، (تونس، حوليات الجامعة التونسية، 2010م.

